فصلية مُحكّمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد(٤٩) السنة التاسعة عشرة رمضان ١٤٤٦ هـ آذار ٢٠٢٥ م

فصلية مُحكمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد(٤٩) السنة التاسعة عشرة رمضان ١٤٤٦ هـ آذار ٢٠٢٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development

الرقم: ب ت ٤ / ٣٢٢٢
No:
التاريخ: ٠٩-٠٤-٢٠١٤
Date:

٢٠١٤ عام اقتصاد المعرفة

ديوان الوقف الشيعي

م / مجلة والقلم

تحية طيبة..

اشارة الى كتابكم المرقم ١٠٧٤/٤/٣ في ٢٠١٣/٦/٣٠ والية اعتماد المجلات العلمية لأغراض الترقية العلمية وبعد استكمال متطلبات ترويج معاملة مجلة (والقلم) الصادرة عن ديوانكم ، حصلت الموافقة على اعتمادها لاغراض الترقية العلمية.

..... مع التقدير

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

أ.د محمود حسين الحرسوي
معاون الدكتور المدير العام للشؤون العلمية
٢٠١٤/٤/٨

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية / شعبة التأليف والنشر

فصلية مُحكّمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد(٤٩) السنة التاسعة عشرة رمضان ١٤٤٦ هـ آذار ٢٠٢٥ م

مجلة والقلم

فصلية المُحَكَّمة

تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والفكرية

تصدر من المركز الوطني لعلوم القرءان
ديوان الوقف الشيعي

العدد(٤٩)
السنة التاسعة عشرة رمضان ١٤٤٦ هـ آذار ٢٠٢٥ م

فصلية مُحكّمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد(٤٩) السنة التاسعة عشرة رمضان ١٤٤٦ هـ آذار ٢٠٢٥ م

مجلة والقلم
فصلية المُحَكَّمة
تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والفكرية
تصدر من المركز الوطني لعلوم القرءان
ديوان الوقف الشيعي

فصلية محكّمة
تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والفكرية

فصلية مُحَكّمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد(٤٩) السنة التاسعة عشرة رمضان ١٤٤٦ هـ آذار ٢٠٢٥ م

الاشراف العام
الاستاذ الدكتور
حيدر حسن الشمري
رئيس ديوان الوقف الشيعي

رئيس التحرير
أ.د.حيدر عبد الزهرة
مدير التحرير
أ.م.د. رافع محمّد جواد العامري

هيأة التحرير
أ.د. طلال خليفة سلمان
أ. د .عمر عبدالله نجم الدين
أ.د .حازم طارش حاتم
أ.د.حميد جاسم عبود الغرابي
أ. م .د. محمّد كاظم كمر الربيعي
أ. م.د.عقيل عباس الريكان
أ. م.د. أحمد حسين حيال
أ.م.د. قاسم خليف عمّار
أ.م.د.مها منصور عامر
م.د. ميسون حسن صالح الحسيني

هيأة التحرير من خارج العراق
أ . د . مها خير بك ناصر
الجامعة اللبنانية / لبنان
أ.د.خولة خمري
جامعة محمّد الشريف / الجزائر
أ . د .عماد علي عبد اللطيف علي
جامعة قطر/كلية الآداب والعلوم
أ . د .محمّد رضا ستودة نيا
جامعة اصفهان/إيران

الرقم المعياري الدولي

2617 –419x

رقم التصنيف الالكتروني

26042

رقم الاعتماد

في نقابة الصحفيين العراقيين

١١٣/ لعام ٢٠٠٥

العنوان الموقعي

جمهورية العراق

بغداد / شارع فلسطين

قرب نادي الأخاء التركماني

المركز الوطني لعلوم القرءان

الاتصالات

مجلة والقلم المُحَكَّمَة

٠٧٧٠٧٩٣٥٩٧١

:Email

alwatnywalqalam@gmil.Com

صندوق بريد / ٣٣٠٠١

دليل المؤلف.....

١–إن يتسم البحث بالأصالة والجدة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.
٢– إن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
أ. عنوان البحث باللغة العربية .
ب . اسم الباحث باللغة العربية . ودرجته العلمية وشهادته.
ت . بريد الباحث الإلكتروني.
ث . ملخصان أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.
ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.
٣–أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word) ٢٠٠٧ او ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزَّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجِدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.
٤–أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A٤).
٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصغية APA
٦–أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين الف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.
٧–أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.
٨–أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:
أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.
ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢). أما فقرات البحث الأخرى: فبحجم (١٤) .
٩–أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام التلقائي (تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.
١٠–تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم والمسافة بين الأسطر (١) .
١١–في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.
١٢–يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.
١٣–يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.
١٤–لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.
١٥–لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قبلت أم لم تقبل.
١٦–دمج مصادر البحث وهوامشه في عنوان واحد يكون في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.
١٧–يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.
١٨–يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الاستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.
١٩–يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) الف دينار.
٢٠–تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.
٢١–ترسل البحوث على العنوان الآتي: (بغداد – شارع فلسطين المركز الوطني لعلوم القرآن)
أو البريد الألكترونيّ: (mayson hassan 846@Gmail.com) بعد دفع الأجور في الحساب المصرفي العائد إلى الدائرة.
٢٢–لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة والقلم
فصلية مُحكمةتُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والفكرية
تصدر عن المركز الوطني لعلوم القرآن/ ديوان الوقف الشيعي

المحتوى

العدد(٤٩) السنة التاسعة عشرة رمضان ١٤٤٦ هـ آذار ٢٠٢٥ م

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	قراءة نقدية في كتاب الحداثة والقرآن لسعيد ناشيد	أ. د. أنس عصام اسماعيل	١٠
٢	الاخلاق في القرآن الكريم دراسة في المبادىء والاشكالات	أ.د.فاضل مدّب المسعودي	٢٦
٣	الموصوف بـ«غير معروف» في المعجم العربي دراسة صرفية	زينب محمود شكر أ.د. حسام قدوري عبد	٣٨
٤	المرتجل في شعر يوسف الثالث	أ.م.د. رافد جهاد عبد الله	٥٤
٥	ظاهرة الانحطاط اللغوي في ألفاظ الصحافة العراقية، دراسة دلالية	أ.م.د. خلود جبار عيدان	٦٤
٦	العنوان في قصائد محمد مهدي الجواهري	أ.م.د. شيماء عادل جعفر	٨٦
٧	التطوّر الدلاليّ في ديوانُ أبي المظفّر الأبيورديّ (ت ٥٠٧هـ)	نور كريم عبد نصيّف أ.د.م.سَرّاء قيس إسماعيل	٩٨
٨	نقولات الشيخ الطبرسي لاجماعات فقهاء الإمامية في كتابه المؤتلف من المختلف/دراسة فقهية مقارنة	أ.م.د.حنان جاسب محمد	١٠٨
٩	الألفاظ الدّالة على الشّعر في لسان العرب دراسة في ضوء نظرية الحقول الدلاليّة	عفراء عبد الرزاق مجيد أ.م.د وسام مجيد حسن	١٤٦
١٠	حجية الحديث الضعيف عند الإمامية	أ.م.د جاسم مزعل لفتة فرح ماجد صاحب	١٦٢
١١	تفسير ايات الاحكام في المعاملات بين الراوندي والقرطبي	مريم عامر محمد أ.م.د. مسلم حسين عطية	١٧٦
١٢	المشترك اللفظي في القرآن الكريم	رؤى حيدر خضير حسن أ.م.د صفاء توفيق كاظم	١٩٦
١٣	ألفاظ الغريب في كتاب سُبل الهدى والرّشاد في سيرة خير العِباد للصالحيّ (ت٩٤٢هـ)دراسة دلاليّة	إسراء سلمان محمد فاضل أ. م. د. صفاء توفيق كاظم	٢٠٨
١٤	تقنيةُ القناع في شعر هادي الربيعي	م. د. محمد سعيد طعمة	٢٢٨
١٥	الارتكاز القرآني في الثورة الحسينيةدراسة تحليلية لدور النصوص القرآنية في تشكيل الخطاب الثوري للإمام الحسين(عليه السلام)	م.د. نعمه جابر محمد	٢٤٠
١٦	موقعة الطف في عيون المستشرقين	م.د.ابتسام رسول حسين	٢٥٠
١٧	حديثُ في باب دعائم الإسلام في كتاب الكافي دراسة تحليلية	م. ندى ساجد حميد مجيد	٢٦٦
١٨	أثر الانفصال عن الطبيعة في الشعر العربي الحديث	م.م. شعبان علاوي عبد	٢٨٢
١٩	أثر القواعد الفقهية في صياغة مواد الهيئات المستقلة من الدستور العراقي٢٠٠٥م	محمود بندر علي م.م عالية حسين محمد	٢٩٤
٢٠	حذف الفاعل دراسة في الاستعمال القرآني	م.م هدى علي هاشم	٣٠٤
٢١	كسر افق التوقع في خطبة السيّدة زينب (عليها السلام)	م.م.علية مسير رسن	٣١٦
٢٢	مفهوم الشهرة وفاعليته في تشكيل الثقافة النقدية في التراث العربي الموسوعي	م.م. غفران جبار شمخي أ.د. سوسن صائب سلمان	٣٣٠

الاخلاق في القرآن الكريم دراسة في المبادىء والاشكالات

أ.د.فاضل مدّب المسعودي
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

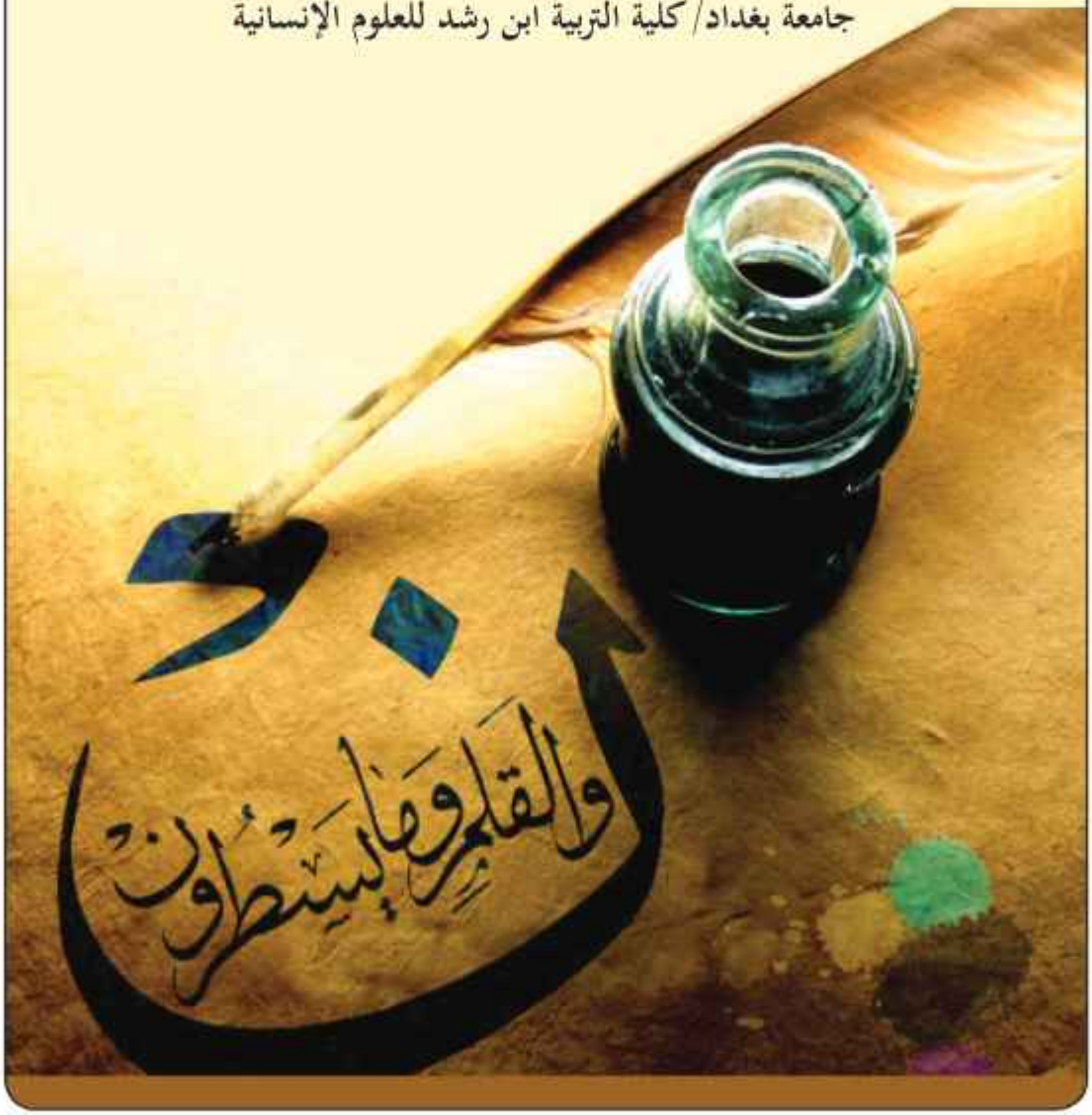

المستخلص:
إن الأخلاق الحميدة هي ميزان تقدم الحضارة الانسانية ,منذ الخلق الاول والى يوم القيامة ,فيها يتميز الانسان عن خلائق الرحمن من جماد وحيوان , فمن كان له خلق حسن , وصف بانه انسان , ومن فقد ذلك تجوزا قيل عنه من بني البشر وليس بإنسان.
ومما لا شك فيه , فان الله عز وجل ما وضع القوانين والاديان , وبعث المصطفين من عظماء بني الانسان , الا ليسوق الناس على المحجة البيضاء, واستنقاذهم من مراتع البهائم الصماء, ودنائس وحل الشياطين , وهفوات السفهاء والخبثاء ؛ ليأخذ بيدهم الى روضات الجنان, ويزحزهم عن سرادقات النيران.
الكلمات الافتتاحية:القرآن الكريم، الاخلاق، المبادىء،الاشكاليات، الانسان، الفضائل، الاختيار.

Abstract:
Good morals are the scale of human civilization›s progress, from the first creation until the Day of Judgment. In them, man is distinguished from the creatures of the Most Gracious, from inanimate objects to animals. Whoever has good morals is described as a human being, and whoever lacks that is metaphorically called one of the human beings and not a human being. There is no doubt that God Almighty did not establish laws and religions, and sent the chosen ones from the great ones of the human beings, except to lead people to the white path, and rescue them from the pastures of deaf animals, the filth and quagmires of devils, and the mistakes of fools and wicked people; to take them by the hand to the gardens of Paradise, and to move them away from the tents of Hell.
Keywords: The Holy Quran, ethics, principles, problems, man, virtues, choice.

المقدمة:
الحمد لله الذي قال في حق نوع الانسان: « وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» (البلد: ١٠) وفي حق النفس الانسانية :
«فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا» (الشمس ٨ ،٩، ١٠)، وقد ركّب فيه دواعي الخير والشرور, وجمع فيه القوى والاوصاف المتناقضة التي لا تجتمع الا في مثله من المخلوقات، ليكون ذلك خصيصة له عن سائر ما خلق سبحانه، ثم حثّه على تحسينها .بعد ما هداه الى السبيل
«إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا»(الانسان: ٣). نفيا للمبالغة في الشكر ، لان شكر الله تعالى لا يؤدّى فانتفت عنه المبالغة, واما الكفر فالمبالغة فيه واردة جدا. قد تصل الى ادّعاء الربوبية كما فعل فرعون.
ثم الصلاة والسلام على نبينا الذي أوتي جوامع الكلم وخواتيم الحكم، وبعث سفيرا للاخلاق، ومتمما لها، وعلى آله مصابيح الدجى وأولي النهى، وينابيع الخلق الاسمى، صلوات الله وسلامه عليهم جمعاء.
وبعد : فان الاخلاق الحميدة هي ميزان تقدم الحضارة الانسانية، منذ الخلق الاول والى يوم القيامة، فيها يتميز الانسان عن خلائق الرحمن من جماد وحيوان، فمن كان له خلق حسن، وصف بانه انسان , ومن فقد ذلك تجوزا قيل عنه من بني البشر وليس بإنسان.
ومما لا شك فيه، فان الله عزوجل ما وضع القوانين والاديان، وبعث المصطفين من عظماء بني الانسان، الا ليسوق الناس على المحجة البيضاء, واستنقاذهم من مراتع البهائم الصماء، ودنائس وحل الشياطين، وهفوات السفهاء والخبثاء

؛ ليأخذ بيدهم الى روضات الجنان , ويزحزهم عن سرادقات النيران.

ولا يتيسر ذلك الا بالتخلي عن ذمائم الاخلاق ورذائلها ,والتحلي بمحاسن الصفات وفضائلها , فعلى الانسان ان يجعل من حياته مضمارا لتطهير قلبه عن أوساخ الطبائع وارجاسها , وغسل نفسه عن أقذار الأنا , قبل ان يهوي في مهاوي الضلالة, ويتبع نفسه الامارة وأهوائها الهلاّكة ,ويصاب بمرض الغفلة والنسيان لذاته فينسى ربه وينساه ربه. ما دان الاختيار بيده قبل فوات الاوان ولات حين مندم.

وكل ذلك موقوف على معرفة مواطن المهلكات , وحفر الموبقات , ووديان الشهوات؛ فان التزكية موقوفة على معرفة ذلك ،والحذر من همزات الشيطان ودسائسهم ومكائدهم, والعلم بأسبابها ثم معالجتها . وهذا هو الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي عظيما .ولا يلقاها الا ذو حظ عظيم من الله الرؤوف الرحيم.

ولم يرخص سبحانه لأحد جهلها , او التهاون في تحصيلها , فهي موجبة للحياة الحقيقية والسعادة الابدية في الدارين , والتارك لها والغافل عنها على شفا جرف المهلكات وقريب من عذابات النيران .

وحيث ان الاخلاق – على عمومها– من مختصات بني الانسان ,فلا غرابة ان يهتم بها العظماء , وينظّر لها الحكماء , ويبالغون في الحثّ عليها ونشرها وتدوينها, فضلا عن تبيينها وتطبيقها عمليا . فالحاجة تدفع كل ذي عقل راجح الى نشر الاخلاق في المجتمع الانساني على وجه العموم ؛ لان الانسان اجتماعي بالطبع، ا لايستطيع العيش منفردا من دون عناء ،ولا يأنس الا بالاجتماع مع الاخرين من بني جنسه, وهذا يستدعي ان تكون هناك قواعد ورؤى , واتفاقات مباشرة او غير مباشرة للتعامل بين الافراد معاملة لا تنفّر الذوق الانساني , والطبع الآدمي .

وعليه فالانسان يحتاج الى الصدق وعدم الغش على نحو المعاملة , والى الجزاء بالاحسان ازاء الاحسان , والى اقامة العدل ونبذ ومحاربة الظلم بكل انواعه, وان لا تسود شريعة الغاب اذ يأكل فيها القوي الضعيف , ويتنمّر الحاكم على المحكوم, والغني على الفقير، وصاحب الجاه على المعدوم.

يطمح كل انسان سويّ في الوصول الى السعادة الابدية , وليست المؤقتة , والى نشر الحب والوفاء وعناصر التراحم والمودة بين الافراد , وينعم بالامن والامان له ولاسرته ووطنه, ورغد العيش والحصول على كافة حقوقه بلحاظ كونه كائن حيّ له مشاعر توجهه وأحاسيس تراوده.

فكان والحال هذه ان نبين في هذه الدراسة، المبادىء العامة لموضوعة الاخلاق التي يجب الايمان بها, والعمل على اساسها في تربية الذات الانسانية بغية الوصول الى ملكة الاخلاق التي يتميز بها الانسان عن سائر المخلوقات.

وقد قسم هذا البحث الى اربعة مطالب، كان الاول منها – مبينا لتعريف الاخلاق في اللغة والاصطلاح , وجاء المطلب الثاني بعنوان: الانسان موجود مختار(مسؤول)، فيما كان عنوان المطلب الثالث :الانسان ذو غاية نهائية , ليأتي المطلب الرابع ببيان دور السعي في الوصول الى غاية الانسان, ثم الخاتمة فأهم النتائج.

وتجدر الاشارة هنا وحتى لا نبخس الناس اشياءهم ان أبين اني قد اعتمد في اخراج هذا المبحث على كتاب (الاخلاق في القرآن) للشيخ العارف آية الله محمد تقي مصباح اليزدي , فقررت ما كتب ووسعت بعض المطالب , وهذا البحث هو من ضمن سلسلة محاضرات ألقيت على طلبة الحوزة العلمية في العراق وايران ولبنان وسوريا , بعد ان كُلفت من مؤسسة البصائر بتدريس مادة الاخلاق في القرآن , وكان ذاك في سنة ٢٠٢٢م.

واخيرا فاني بعيد عن الادعاء بان ما كتبت في هذا البحث يمثل الفرد الاكمل او الفرد الكامل, فذلك شرف لا يناله الا ذو حظ عظيم , والكمال لا يكون الا لله وحده, فان وفقت فذلك بفضل الله ولي التوفيق, وان قصرت فاني استغفر الله من كل هفوة او غفلة متعمدة او غير متعمدة, وارجوه سبحانه ان يقبل مني هذا الجهد المتواضع وينفعني به في يوم لا ينجو فيه الا من أتاه بقلب سليم.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين, وهو وحده من وراء القصد.

المطلب الأول: مفهوم الاخلاق لغة واصطلاحاً:

توطئة:

الاخلاق بشكل عام هي عنوان الشعوب ، فالتمايز بين الانسان وغيره من المخلوقات حسب وجهة علم الاجتماع هي الاخلاق ، وقد حثت عليها جميع الأديان ، ونادى بها المصلحون في كل آن . وهي أساس الحضارة ، ووسيلة للمعاملة بين الناس .

يقول الشاعر احمد شوقي(١):

وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيَتْ فإن همُ ذَهَبَتْ أخلاقهُم ذَهَبوا

وللأخلاق دور كبير في تغير الواقع الحالي في جميع المجتمعات إلى العادات الجيدة والتصرفات المحمودة . قال النبي محمد (صلى الله عليه وآله): ((انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق)) (٢). فكأن الظاهر من كلامه (صلى الله عليه وآله) ان العلة من ارساله هي اتمام مكارم الاخلاق في نفوس الناس و يريد للبشرية ان تتعامل على وفق قانون الخلق الحسن، وهو ليس فوقه قانون يتبع المقابل و يؤثر في نفسيته .

والاخلاق في اللغة : ((السَّجِيَّةُ والطَّبْعُ والمُروءةُ والدينُ)) (٣).

وفي الاصطلاح: عرف علم الأخلاق بعدّة تعريفات منها:

١- هو : ((علم موضوعه أحكام قيمية تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن أو القبح)) (٤).

٢- هو: ((علم يوضح معنى الخير والشر، ويبين ما ينبغي أن تكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضا، ويشرح الغاية التي ينبغي أن يقصدها الناس في أعمالهم ، وينير السبيل لعمل ما ينبغي)) (٥).

٣- وعرفه ابن مسكويه (ت ٤٢١هـ) بقوله هو : ((الخلق : حال للنفس ، داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رويّة....)) (٦).

٤- هي : ((مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، التي يحددها الوحي، لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره...)) (٧).

٥- : ((هو كل ما يتصل بعمل المسلم ونشاطه وما يتعلق بعلاقته بربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع غيره من بني جنسه، وما يحيط به من حيوان وجماد)) (٨).

ونجد من خلال استعراض ما تقدم من تعريفات, انها مختلفة الالفاظ متشابهة المضمون , وفي جميعها نظر لا يغيب عن الباحث الحصيف ٬ وليست جامعة ولا مانعة في تحديد مفهوم علم الاخلاق من جهة علم المنطق ؛ وذلك :

أولاً: ان موضوعة علم الاخلاق ترتبط بالانسان من جهة كونه مخلوقا مختارا , وهي الافعال التي يقوم بها الانسان في تعامله مع اخيه الانسان , داخل الاسرة , او داخل المجتمع , ومع البيئة التي يعيش فيها , بل حتى في تعامله مع نفسه هو في سبيل تزكيتها وتخليتها من الرذائل وتحليتها بالفضائل.

ثانياً: ان الاخلاق لم تكن لتوجد لدى الانسان، من دون اكتساب فهي ليست جبلة يُجبل عليها الانسان ؛ فلو كانت كذلك لما استطعنا ان نميز بين الخلوق من الناس وغير الخلوق, بل لانعدمت الحكمة من توجيه اللوم او العقوبة لسيء الاخلاق، أو امتداح من كان خلوقا من الناس.

فلا تكون داعية الى افعالها من دون تفكير ولا روية –كما قال ابن مسكويه آنفا – وانما لابد من ان يكون فيها تفكر وتدبر واختيار مسبق، فالتبعة لا تكون إلا إذا وجدت الإرادة، فما لا دخل لإرادة الإنسان فيه لا يسأل عنه، ولا يلام عليه، ولا يمدح أو يذم من أجله.

ثالثاً: ان الذي يوضح ويميز بين الخير والشر، انما هو العقل والفطرة الانسانية التي هي : (مجموعة من الصفات والقابليات التي تُخلق مع المولود , ويتصف بها الانسان في اصل خلقته .. وتهدي الانسان الى تتميم نواقصه) (مفاهيم

القران, السبحاني:١/ ١٥) , فهي جعل من الله سبحانه عند جميع البشر. وهو ما يقتضيه مبدأ العدل الالهي.

رابعا– وفي العريف الاخير حالة من الحصر غير المبرر؛ فليس الوحي وحده هو من يحدد مبادىء الاخلاق , او ينظم السلوك الانساني , وانما هو دور العقل ؛ ولذا قيل في علم الكلام : ان الحسن والقبح عقليان لا شرعيان , فالكذب قبيح عند جميع البشر , ليس لان الشرع قبحه ؛ بل لان العقل والذوق الانساني يرفضانه , فانك تجد قبح الكذب عند الملحدين والماديين ممن لا يؤمن بوجود خالق لهذا الكون. فتأمل!

ويمكننا هنا ان نضع تعريفا للأخلاق يمثل وجهة نظر لدى الباحث , فنقول : (هو مجموعة من المبادىء والتصرفات الاكتسابية التي يتصف بها السلوك الانساني نسبيا في الحسن والقبح , يتفق عليها افراد المجتمع الواحد , قد تختلف من فرد لآخر او من مجتمع لآخر , وقد تتفق من جهة الحكم عليها عقليا).

ولتوضيح التعريف نشير الى:

١– قولنا (مبادىء وتصرفات), نقصد منها الاسس لتصرفات الانسان من حيث الحسن والقبح التي تتعلق بافعال الانسان واختياره.

٢– قولنا (اكتسابية) , لاثبات انها ليست جبلّة في كل انسان ؛ وانما هي قابلة للتعلم والاكتساب.

٣– قولنا: (نسبيا) ؛ لأنه قد يتفق عليها افراد المجتمع الواحد وقد يختلفون او هي مختلفة بين تصرفات الناس ضمن مجتمعات متباينة , فمثلا نجد انسانا في المجتمعات الغربية يهب ماله الى كلبه , فيراه ذلك المجتمع فعلا اخلاقيا حسنا. بينما لا يكون هذا الفعل حسنا في المجتمعات الاسلامية ؛ اذ ليس من حق الانسان ان يتلف ماله ويهبه الى سفيه، او الى حيوان غير عاقل. فتامل!

المطلب الثاني: الانسان موجود مختار (مسؤول) (٩):

لنتفق أولا أن الانسان بما هو انسان , لا بد وأن يكون مختاراً لأفعاله وهو المسؤول عنها والمجازى عليها. فحينما يؤمن الانسان بقدرته على كسب الكمال والقيم تتيسر له عملية التزكية وتهذيب الاخلاق وبناء الذات .

وبعكس ذلك , فانه اذا سُلب هذا الايمان وهذه المسؤولية , وظن أن لا ثمرة لسعيه , و لا تأثير على تكامله و تغير مصيره , فلا مجال حينئذ لتزكية نفسه و تهذيبها .

والسبب في ذلك , هو ان الانسان اذا كان مجبرا في اعماله , و فقد ارادته في تقرير مصيره , فلا داعي للأوامر والنواهي الموجه اليه كمكلف , فلا يقال له: افعل كذا و لا تفعل كذا ؛ لأنه مجبور و فاقد للإرادة.

من هنا و بعد هذه المقدمة فحين نبحث عن أسس النظام الاخلاقي في الاسلام , وتعريف مبادئه الموضوعة , نعتبر أن (اختيار الانسان) هو المبدأ الاول في تلك الاسس .

إن خطورة القول بجبرية تصرفات الانسان وأفعاله و سلب ارادته و عدم الاختيار في اعماله , و رضوخه للمؤثرات الخارجية فان ذلك يؤدي الى تثبيط عزيمته و تجريده من الشعور بالمسؤولية .

إن الذين يركنون الى الهوى ولا يكلفون أنفسهم ما يتعبها , ولا يرغبون في التحرك نحو جهاد النفس كنوع من الجهاد الاكبر, فان نتيجة ذلك يتولد لديهم لون من الميل نحو الجبر كشماعة يعلقون عليها فشلهم في الحياة و يعللون ضعفهم في اعمال الخير و يبررون ارتكابهم للمعاصي و الآثام .

ولو سئل هؤلاء لِمَ لا تزكّوا أنفسكم ؟ للجّوا في العناد , ولحاولوا الاجابة بإسناد سلوكهم الى عامل جبري فيقول أحدهم : إنها قضية وراثية , فقد كان ابي وجدي هكذا فأصبحت كذلك أو يقول : هي الظروف التي نشأت فيها أو البيئة التي عايشتها .

ولو كان من اصحاب التدين و الايمان لاستعان بالفلسفة ليبرر افعاله بالقول : إن الامور كلها بيد الله , فلا دور لنا . أو القضاء والقدر فيقول : إن ما يجب وقوعه سوف يقع شئنا أم ابينا , عملنا ام لم نعمل .. و نحو ذلك من

الاعذار غير المنطقية مما لا يقرّها الوجدان .

ولاشك في أن جميع الاشياء تنتسب الى الله عز وجل بصورة مستقلة ، وقد اشار القرآن الكريم الى هذه الحقيقة في باب الاخلاق , وهي أن الله سبحانه هو الذي يهدي الانسان ، قال تعالى :(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (القصص: ٥٦) ، وقوله تعالى :(.... وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ...) (الحجرات: ٧) .

فظاهر هذه الآيات بلا شك يدل على أن كل شيء ينتسب الى الله سبحانه ، فالله تعالى هو الذي يرحمكم , وهو الذي يدخل المؤمنين الجنة ، و يتفضل عليهم بالرحمة . ومع ذلك فإنها لا تعني سلب الاختيار من الانسان أبدا ؛ لأن الفاعلية الالهية في طول الفاعلية الانسانية و لا تعارضها لكي تنفيها .

والقرآن الكريم لا يجحد تأثير هذه العوامل أو الفاعلية الالهية ، ولكنه يلقي على الانسان مسؤولية أعماله واختياره فهو – القرآن – يرى أن الفاعلية الحقيقية والتأثير المستقل مختص بالله وحده ، ولكن ذلك لا يعني تجريد الفواعل والعلل القريبة عن تأثيراتها أبدا .

وكذلك توجد في هذا العالم عدة عوامل من قبيل الوراثة ، والبيئة ، واللبن ، والطعام (حلاله وحرامه) و .. و ..الخ ،وهي تفرض تأثيراتها على أفعال الانسان ، ولكن الرؤية الاسلامية رغم قبولها لتأثير جميع العوامل المذكورة تؤكد بشدة على دور الانسان في الاختيار ، باعتباره العامل الأهم من بينها.

بمعنى إن هذه العوامل ليست عللا تامة للفعل ؛ بل هي مجرد معدات له ، وبما أن إرادة الانسان هي التي تعين و تمم الفعل ، فان الانسان مسؤول بمقدار ما يمتلك من ارادة واختيار . قال تعالى:«وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» (فصلت: ٤٦) .

إن العوامل المذكورة لا تسلب الانسان اختياره لتجعله مجبورا على افعاله ، ولا يمكن التمسك بها كذرائع لارتكاب الذنوب وانحراف الانسان ؛ اذ لا جبر في أي شرط من الشرائط المذكورة ، بل يكون الانسان مختارا فيها .

وما نحاول تقريره هنا بعد هذه المقدمة : هو أن يشعر الانسان أنه مسؤول عن كل افعاله واعماله , وان هذه الذرائع التي يستند إليها لا ترفع عنه كاهل المسؤولية والمساءلة من الرب العظيم، وإن الركون الى الافكار والايدلوجيات التي تزرع الميول الجبرية في أذهان أتباعها ، تنشئ أناساً مهملين وغير مسؤولين ، وأنانين ، وكسولين متشبثين بالذرائع في كونها أعذارا لهم في ارتكاب المعاصي والذنوب والآثام .

بل ويسعون دوما لإفهام غيرهم بذنوبهم وأخطائهم ، كما فعل (معاوية) في تأويله لمقتل عمار بن ياسر في جعل الفئة الباغية هي التي جاءت به (١٠). أو يلقوا تبعاتهم على العوامل والظروف الاخرى كالتأريخ والوراثة والمجتمع .. ونحو ذلك .

اذن يمكن أن نستنتج مما تقدم , ضرورية الاعتماد الاكبر على اختيار الانسان في دراسة النظام الاخلاقي في الاسلام ؛اذ يبدو ان المائز الاكبر بين الانسان وسائر المخلوقات الاخرى هي الاخلاق ، فكلما سما الانسان بأخلاقه وصف بأنه ذو إنسانية ، وكلما كان العكس فقد الانسان هذا الوصف و وصف بالحيوانية في مقابل الانسانية .

المطلب الثالث: الانسان ذو غاية نهائية:

بعدما ذكرنا في المبدأ الاول أن الانسان لا بد أن يكون مختارا وذا مسؤولية يتحملها في افعاله سواء فعل أم ترك الفعل ، فان كلا الامرين نستنتج منها أن هناك غاية في فعله أو تركه للفعل وهو (غائية الانسان).

إن هذا الانسان المختار ينتخب غاية يروم الوصول اليها ثم يباشر أفعاله الاختيارية بغية تحقيق هدفه الذي رسمه في اختياره فعلاً كان ام تركا . فيطلق على هذا (الهدف) أو (الغاية) التي انتخبها (علة غائية) ولهذه العلة الدور الاساس بين العلل الاربعة لإيجاد المعلول وهي :(العلة الفاعلة ، والعلة المادية ، والعلة الصورية ، والعلة الغائية) . وعلينا الالتفات الى أن هناك فارق كبير بين العلة الغائية وبين الغاية , فالعلة الغائية ((ما يوجد الشيء لأجله))(١١) كالوجود بالنسبة الى المصطفى (صلى الله عليه وآله) . اذ خُلق الوجود لأجلهم .

واما الغاية فهي التي يقصدها الفاعل ولكن ليست هي المقصودة بذاتها ؛ بل ربما تأتي غايات بعدها متعددة تتفرع عنها . فالغاية هي الهدف او ما يتم النزوع اليه .

إما العلة الغائية عند الحكماء فهي((ما تخرج الفاعل من القوة الى الفعل)) (١٢)، فمثلا النجار لا يقوم بصنع الكرسي ، إلا لغاية مطلوبة مترتبة عليه ، ولولا تصور تلك الغاية لما خرج عن كونه فاعلا بالقوة، إلى ساحة كونه فاعلا بالفعل ، وعلى هذا فللعلة الغائية دور في تحقيق المعلول وخروجه من الإمكان إلى الفعلية ؛ لأجل تحريك الفاعل نحو الفعل، وسوقه إلى العمل(١٣).

ولا نتصور العلة الغائية بهذا المعنى الآنف في ساحة القدس ؛ لأنه المطلق في مقام الذات والوصف والفعل ، فكما أنه تام في مقام الوجود ، تام في مقام الفعل ، فلا يحتاج في الايجاد إلى شيء وراء ذاته ، وإلا فلو كانت فاعلية الحق سبحانه كفاعلية الإنسان فلا يقوم بالإيجاد لهذا الوجود ، إلا لأجل الغاية المترتبة عليه لكان ناقصا في مقام الفاعلية مستكملا بشيء وراء ذاته محتاج الى شيء غيره تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهو المطلق في غناه (١٤).

وعلى أية حال فانه يمكن القول : أن العلة الغائية لأي فعل هي الغاية التي يصبو اليها الفاعل المدرك وتدفعه نحو إنجاز العمل . ويجوز أن يكون لذلك العمل آثار وغايات أخرى لا تعتبر علة غائية له ؛ لعدم تركيز اهتمام الفاعل عليها و لا يوجد دوافع له اثناء العمل . وعليه فان العمل الذي نباشر به لا يكون مقصودا لنا بالذات ؛ بل يكون مقدمة للثمرة التي ننشدها وتعود علينا إثر ذلك العمل ، ويطلق عليها الغاية والعلة الغائية لذلك العمل .

فالغاية التي ننشدها في أي عمل قد تصبح مقدمة لأمر آخر ، وهو بدوره يصبح مقدمة لتحقيق غاية ثالثة .. وهكذا ولكن هناك نقطة نهائية نصبو اليها في عملنا حين انجازه وان كان ارتكازيا ، وغير ملتفت اليه بنحو الكمال نطلق عليها الغاية النهائية . فمثلا غاية الطالب في السادس الاعدادي هو ان ينجح ، الا ان هذا النجاح لا يكون غاية نهائية له في العادة ، بل هو يوظف هذا النجاح للحصول على الكلية المناسبة لمعدله وهذه ايضا لا يريد لها ان تكون هي الغاية النهائية ، فهو يروم الوصول الى الوظيفة التي تؤمن له العيش الرغيد . وهكذا تتعدد الغايات للفاعل حتى يصل الى غاية نهائية لا غاية بعدها .

وكذا الحال مع المثال في العامل الذي يعمل لغرض الحصول على الاجرة ، الا انها لا تكون غاية نهائية له ، بل يستلمها لتوفير الطعام الذي يقصد بدوره الأكل الذي يتم به الهدف وهو الشبع ، فينتهي النشاط المذكور بهذا الحد . فلا يقصد العامل غاية اخرى وراءه . فيكون الشبع غاية نهائية له . ومثل هذا الانسان يكون مصداقا لقوله تعالى: «وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ»[محمد: ١٢].

بينما العظماء وذوو الهمة من البشر فلا تنتهي الغاية لديهم الى ذلك. فلا يكون همهم من الاكل هو الشبع واشباع البطن ؛ بل ينشدون غايات أكبر وراء ذلك ، والخواص من عباد الله وهم المؤمنون المتقون ، يأكلون الطعام لتوفير الطاقة التي بها يتقوون على عبادة الله الواحد الاحد وخدمة عباده ، هؤلاء لا يكون الشبع غايتهم النهائية ، بل هو مقدمة لتحقيق غاية نهائية أكبر وأكبر .

وخلاصة القول : إن هناك غايات نقصدها عند انجاز أعمالنا ، وبما أن التسلسل في الغايات أمر غير ممكن فانا نلاحظ غاية نهائية لتلك الاعمال والغايات ، وقد تكون أمورا مختلفة ، الا أن من بين ما يترتب على أفعال الانسان ، هناك شيء لا يمكن تصور غاية أكبر منه ويكون مطلوبا لذاته ، وكل مقصود سواه يكون مقدمة له أو يمكن أن يكون كذلك .

وعليه فان الانسان يتابع غاية نهائية واحدة –مهما كانت تلك الغاية –وينجز الاعمال لتحقيقها ، وقد لا يكون ما يمثل غاية نهائية لشخص كذلك لشخص آخر ، بل يستخدمه كمقدمة لغاية اخرى ، الا أن من الطبيعي أن تنتهي نشاطات الثاني وحركاته في حد فيكون بالضرورة ذا غاية أو غايات نهائية متعددة

مما تقدم نستنتج :

١- إن أي انسان ذو غاية أو غايات نهائية يسعى لتحقيقها .
٢- إن هذه الحقيقة هي مبدأ مهم في علم الاخلاق.
٣- إن هذه الغايات التي يسعى الانسان الى تحقيقها تقع في اطار الاعمال الاختيارية للإنسان وتنجز بقصد الوصول الى الغاية والمطلوب النهائي.
٤- إن الانسان موجود مختار وليس مجبور وهو اساس مهم من اسس النظام الاخلاقي .

المطلب الرابع: دور سعي الانسان في الوصول الى الغاية :

وفي هذا المبدأ ينبغي التأكيد على ان يعلم الانسان , أن لمساعيه دورا في الوصول الى غاياته ومقصوده ، وان نتائجها تعود عليه ، وذلك لكي يبادر بشوق ونشاط الى مقصوده ذاك . فالانسان الذي يتصور أن اعماله ومساعيه,لا تأثير لها أو أن نتائجها لا تعود عليه بل تعود الى غيره ، وان هذه المساعي لا توصله الى الغاية النهائية ، يضعف دافعه للعمل والسعي , فلا يتعب نفسه للوصول اليه . ولهذا المبدأ ابعاد مختلفة منها :

البعد الاول : ان سعي الانسان لن يذهب هدرا بل ستعود ثمرته اليه .

البعد الثاني : ان فوز الانسان و فلاحه لن يتحققا بدون سعي اختياري ، فبسعيه واجتهاده يمكن ان يصل الى مقصوده النهائي ، وليس بالإمكان تغيير مصيره من قبل الاخرين.

البعد الثالث : لا يحمل الانسان وبال افعال الاخرين ، ولن يتوجه اليه أضرار سلوكهم ، والقرآن الكريم يؤكد هذا المبدأ و يوضح أبعاده المختلفة في آيات كثيرة منها :

١- قوله تعالى :(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ...) [الزلزلة: ٧]. وقوله : (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) [النساء: ١٢٣] . فقد استعمل لفظ العمل هنا كما هو واضح .

٢- آيات أخرى استعمل القرآن لفظ الفعل كقوله سبحانه : (وافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الحج: ٧٧]

٣- وجاء لفظ (الكسب) في عديد من الآيات منها قوله تعالى : (هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) [يونس: ٥٢]

٤- وآيات تدل على أن وزر الاعمال السيئة لأي انسان و وبالها لا يحمل على أي انسان آخر كقوله سبحانه : (مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) [الإسراء: ١٥] وقوله تعالى في سورة النجم : (أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى) [النجم: ٣٨ - ٤١].

فهذه الآيات الاخيرة تشير الى حقيقة هذا المبدأ من أن :

- نتائج أفعال الانسان تعود عليه نفسه .
- لا يحمل الانسان حمل أي شخص آخر .
- لا حصيلة و لا كسب للإنسان الا على قدر سعيه و لا يعود عليه شيء آخر .

٣٩] - تبين مبدأ اقتصاديا لديهم مفاده أن الانسان في المجتمع لا يملك في حياته المادية سوى ما يكسبه بعمله و سعيه. والحقيقة ان صحة وسقم المبدأ الاقتصادي هذا يرتبط بباب الاقتصاد في ما يخص عالم الدنيا . وما نقوله بالفعل هنا : هو ان القرائن تدل على ان هذه الآية لا علاقة لها بالمبدأ الاقتصادي المذكور صحيحا كان او سقيما-وانما هي ناظرة الى حقيقة أخروية ترتبط بالقيامة وهي أن الانسان لا يحمل عن غيره وليس له الا جهد نفسه وما سعى اليه ، قال تعالى : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) [الزلزلة: ٧، ٨].

وهنا ثمة اشكالات قد ترد على هذا المذهب الذي أيدته الآيات المباركة ومنها :

الاشكال الاول : قررنا ان الانسان يحظى بالسعادة بأعماله الاختيارية فقط ، وهذه المقولة تتعارض مع مبدأ الشفاعة لان المشفوع له سيحظى بنعم اضافية تكتمل به سعادته ، وفلاحه الاخروي دون أن ينجز عملا بل عن

طريق آخر غير أعماله . فاين قوله تعالى : (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) [النجم: ٣٩] من هذا المعنى وبعبارة اخرى تعارض هذه الآيات بوضوح مع آيات الشفاعة التي تعتبر عاملا مؤثرا غير العمل في تحقيق سعادة الانسان.

وجوابه :

انه تعارض ظاهري يزول بعد التأمل ، فلا تعارض في الواقع بين هاتين المجموعتين من الآيات ؛ اذ لا يحظى كل انسان برعاية الشافعين ، بل من توفرت فيه الأهلية والجدارة اللازمة فقط .

اذن لايمكن القول: بعدم وجود علاقة بين الشفاعة وبين عملنا الاختياري ؛ لان على الانسان أن يكسب الجدارة اللازمة والاستحقاق لنيل الشفاعة , ولا يظن ظان , انه بإمكانه تحصيل السعادة الابدية ومنازل الجنان في القيامة بعمله فحسب؛ لان ابن آدم خطّاء وكثير الغفلات والزلات والهفوات, وانما ينال ذلك برحمة منه سبحانه وبشفاعة من ارتضى من عباده وهم محمد وآل محمد(صلوات الله عليهم).

تماما كما في حال بعض الطلاب ممن يجهد نفسه , و يسعى جادا في دراسته للوصول الى النجاح, لكنه لا يتحصل عليه ؛ لأسباب خارجة عن ارادته , او لظروف قاهرة , فيحصل مثلا على (٤٥) خمس واربعين درجة , وهي درجة تُجبر بالقرار الوزاري , فتأتي شفاعة الشافعين لأنه جدير بها لتصبح درجته (٥٠) خمسون درجة , وهي درجة النجاح, فكذلك الشفاعة . بينما لا ينال الطالب المهمل ممن تحصل على درجة اقل من (٤٥) خمس واربعين على القرار اعلاه. فتامل!!**الاشكال الثاني** : في قوله تعالى : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) [الزلزلة: ٧، ٨] ، فقد يظن ظان ان لا انسجام بين هذه الآية و بين قوله تعالى : (إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) [الأنفال: ٢٩] .

وبمقتضى هذا التعارض الظاهري فكيف نرفع التعارض من ان المذنب سوف يرى ما أذنب ولو ذرة من شر ، وما معنى غفران الذنوب ومحو السيئات في الدنيا . فهل سوف يرى ذنوبه كلها كما في آية سورة الزلزلة (١٥) ام لا ؟ !

وجوابه :

إن مثل هذه الآيات التي تتحدث عن غفران الذنوب والتكفير عن السيئات توضح في الحقيقة الآية : (وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) فهي حاكمة عليها حسب الاصطلاح ، ولكن هذه الآيات تقوم بتصنيف وتحديد دائرة الاعمال التي يراها الانسان ليتضح: أن الاعمال التي تمحى آثارها من قبل الانسان نفسه وتبقى على حالها الاولى سيراها الانسان.

واما الذنوب التي تم محوها بالتوبة والعمل الصالح واجتناب الكبائر, فانه لن يراها لأنها مُحيت عن سجله في الدنيا ، قال تعالى : (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) [النساء: ٣١] ، وقال سبحانه: (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ)[التغابن: ٩] .

وجاء في الدعاء :(وَالشَّاهِدَ لِما خَفِيَ عَنْهُمْ وَبِرَحْمَتِكَ أَخْفَيْتَهُ) (١٦) , فهناك ذنوب لا يعلمها حتى الملكان المكلفان بإحصاء الذنوب , فيكون كرم الله سبحانه ورحمته , أوسع من ان يحاسب عليها الانسان المقترف , بعد توبته وحصوله على المغفرة منه عزوجل, وليس العفو ؛ لان العفو لا يستلزم ستر الذنب عن الجاني , واما المغفرة فهي تعني تجاوزه عن الذنب سبحانه وعدم المؤاخذة عليه , والستر على ذنبه وعدم فضحه وتحصيل المثوبة ؛ لان الجاني تاب عن ذنبه فكان من التائبين , ليحصل على حب الله الرؤوف بعباده , قال تعالى:(.. انَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [البقرة: ٢٢٢].

تماما كما يعفو الاب عن ابنه الذي ارتكب خطأ ما , لكن الاب غير راض عن ابنه, ولا غافر له وبالوقت ذاته لا يعاقبه عما فعل ؛ لانه عفى عنه لسبب او لآخر.

الاشكال الثالث :

في ان الانسان لا يحمل اوزار غيره : (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) [الإسراء: ١٥] ، قد تبدو معارضة مع قوله تعالى : (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) [النحل: ٢٥] . فالآية الثانية تدل على ان انسانا يحمل اوزار غيره.

وجوابه :

ان التدقيق في عبارة الآية الثانية نجد التعبير دقيقا فهي لم تقل : كل انسان يحمل أثقال كل انسان آخر ؛ بل هي تخصص بالذين يضلون غيرهم ، فهؤلاء يحملون جزاء عملهم كاملا و يحملون جزء آخر من اعمال واوزار من اضلوهم .

فالضال يعمل اعمالا ضالة بسبب اولئك المضلين فهم السبب في ضلالتة وعليه فان جزءا من المسؤولية تقع على من اضل وهو من باب التوبيخ البليغ والتعظيم في آثام اولئك المضلين .

ومن البديهي فانا لا نقول بأن الضال ليس له دور في ارتكاب الذنوب ابدا ، وان ذنوبه كلها سوف يتحملها المضل بل هي – الذنوب – تبقى على عاتق الضال لأنه قد ارتكبها مختارا .

هذه هي العدالة الالهية [مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ] (النساء: ١٢٣) فالمضل عمل سوءاً, وهو اضلال الضال فلا بد أن يعاقب ويجازى على فعل الضلالة فهنا لا يحمل المضل عن الضال وانما يجازى بما فعل .

الخاتمة واهم النتائج :

بعد هذه الرحلة الشيقة في بستان المعرفة , حيث الثمار اليانعة التي تنفع الفرد والمجتمع على حدّ سواء, قطفنا ثمارا اخلاقية مفيدة في بناء الذات الانسانية , بغية الوصول الى السعادة الابدية , اذا ما وفقنا الى اقتنائها واتباعها باحسان كمنهج سلوكي, في ضوء القرآن والسنة المطهرة , ومن تلك الثمار :

١– ان للأخلاق أهمية بالغة في بناء الحضارات الانسانية ورقي المجتمعات في شتى ارجاء المعمورة.

٢– ان الاخلاق في مفهومها العام , هي ليست جبلة انسانية تحاكي الفطرة المودعة في الانسان من دون ارادته ؛ وانما هي تنمية اكتسابية للفطرة السليمة.

٣– ان ما يميز الانسان عن سائر المخلوقات من وجهة نظر علماء الاجتماع , هو الاخلاق كطريق متبع واسلوب حياة قويم.

٤– ان من الاسس والمبادىء المهمة في ترصين البناء الاخلاقي للفرد والمجتمع , هو شعور الانسان بأنه موجود مختار لتصرفاته ومسؤول عنها.

٥– ان من الاسس ايضا ان يعرف الانسان ان له غايات واهداف ينبغي تحديدها , ثم يعمل على تحقيقها وصولا الى الغاية القصوى, والا فمن دونها يصبح فردا كلّا على المجتمع, ولا يسهم في رقيه.

٦– ومن المبادىء والاسس ايضا والتي تنفع في اندفاع الفرد والمجتمع نحو الاصلاح الذاتي , هو العلم بان سعيه له دور كبير ومهم للوصول الى غاياته النهائية , فمن لا يسع لا يصل الى ما يريد وما يهدف الى تحقيقه.

والحمد لله من قبل ومن بعد , وصلى الله على النبي الاحمد محمد وآله الطاهرين.

الهوامش:

(١)الشوقيات, أحمد شوقي علي أحمد شوقي بك (ت : ١٣٥١هـ) ، ١ / ٢٠) .

(٢) بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار , محمد باقر المجلسي , ١٦ / ٢١٠ .

(٣) القاموس المحيط , مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) : ٧٩٣.

(٤) المعجم الوسيط , (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) : ٢٥٢ .

(٥) كتاب الاخلاق , احمد امين : ٤ .

(٦) تَهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه : ١٠ .
(٧) التربية الأخلاقية الإسلامية ، مقداد يالجن : ٧٣ .
(٨) موسوعة الأخلاق ، خالد الحراز : ٢٢ .
(٩) افاد الباحث في هذا المطلب من كتاب الاخلاق في القران ، لآية الله الشيخ مصباح اليزدي.
(١٠) ينظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ) ،١٣ / ٢٩٠ . رقم الحديث (٦٢٥٢) . ومعاني الاخبار ، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق (ت ٣٨١هـ) ، ١ / ٥١ .
(١١) كتاب التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) : ٥٠ .
(١٢) الالهيات ، جعفر السبحاني : ٢٦٤ .و(ظ) الاخلاق في القرآن ،الشيخ مصباح اليزدي.
(١٣) ينظر : م.ن : ٢٦٤ .
(١٤) ينظر : م .ن : ٢٦٥ .
(١٥) نقصد قوله تعالى : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) [الزلزلة: ٧، ٨].
(١٦) نَهج السعادة في مستدرك نَهج البلاغة ، أبو جعفر محمّد باقر المحمودي (ت ١٤٢٧هـ) ، ٧/ ١٥٩.

المصادر:

(*) القرآن العظيم.
١- الأخلاق في القرآن الكريم ،محمد تقي مصباح اليزدي (معاصر) ،الطبعة الاولى ،الناشر دار التعارف للمطبوعات ،(ت) ١ يوليو ٢٠٠٤.
٢- الكتاب : الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل ،الشيخ السبحاني (معاصر) , تحقيق : محاضرات الشيخ جعفر السبحاني لشيخ حسن محمد مكي العاملي, الطبعة : الأولى
, الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان , سنة الطبع : ١٤٠٩ – ١٩٨٩ م.
٣- بحار الأنوارالجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار, الشيخ محمد باقر المجلسي, الطبعة الثانية , مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان – صرب (ت ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م).
٤- التربية الأخلاقية الإسلامية ,مقداد يالجن محمد علي , ط: الأولى الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
٥- التعريفات : الجرجاني علي بن محمد (ت:٨١٦هـ), ط١, دار احياء التراث العربي , بيروت – ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٦- تَهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق,أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت ٤٢١هـ)
تحقيق: ابن الخطيب الطبعة: الأولى, المطبعة الحسينية, الناشر: مكتبة الثقافة الدينية(ت ٢٩ اغسطس ٢٠١٧م).
٧- الشوقيات , احمد شوقي (معاصر), تحقيق عمر فاروق الطباع, الطبعة الاولى, نشر: دار الارقم سنة ٢٠١٥م.
٨- القاموس المحيط : الفيروز ابادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت:٨١٦هـ) , دار العلم للجميع , بيروت –١٣٠٦هـ.
٩- كتاب الاخلاق , احمد امين (معاصر) ,الناشر مؤسسة هنداوي , ٢٠١١م.
١٠- احمد : احمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ), مصر, المطبعة الميمنية – ١٣١٣هـ.
١١- مفاهيم القرآن , العلامة المحقق جعفر السبحاني (معاصر) , مطبعة الاعتماد , الناشر مؤسسة الامام الصادق, لا. ت.
١٢- معاني الاخبار : الصدوق ابو جعفر محمد بن الحسين بن علي بن بابويه (ت:٣٨١هـ) , تحقيق : ونشر انتشارات اسلامي –١٤٠٣ هـ .
١٣- المعجم الوسيط ,ابراهيم مصطفى واخرون , دارالدعوة للطبع والنشروالتوزيع – النشر:القاهرة : مجمع اللغة العربية, ١٩٦٠-١٩٦٢م.
١٤- الكتاب: مَوْسُوعَةُ الأَخْلاَقِ ,خالد بن جمعة بن عثمان الحراز ,الناشر: مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع, الكويت الطبعة: الأولى, ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

International standard number
2617 -419x
Electronic classification number
26042
Accreditation number
In the Iraqi Journalists Syndicate
113/ for the year 2005

Website address
Republic of Iraq
Baghdad / Palestine Street
Near the Turkmen Brotherhood Club
National Center for Quranic Sciences
Communications
Journalwalqalam
07707935971
Email:
alwatnywalqalam@gmil.Com
P.O. Box: 33001

General supervision
Professor Dr Haider Hassan Al-Shammari
Head of the Shiite Endowment Officeeditor
Prof. Dr. Haider Abdel Zahra
managing editor
M.D. Rafi Muhammad Jawad Al-Amiri
Editorial staff
Mr. Dr. Talal Khalifa Salman
A. Dr. Omar Abdullah Najm Al-Din
Prof. Dr. Hazem Tarish Hatem
Prof. Dr. Hamid Jassim Abboud Al-Gharabi
A. M. D. Muhammad Kazem Kamer Al-Rubaie
A. M. Dr. Aqeel Abbas Al-Raikan
A. M. D. Ahmed Hussein Hayal
A. M. D. Qasim Khalif Ammar
A. M. D. Maha Mansour Amer
M.D. Maysoon Hassan Saleh Al-Husseini
Editorial staff from outside Iraq
A. D. Maha, good for you Nasser
Lebanese University / Lebanon
Prof. Dr. Khawla Khamri
Mohamed Al Sharif University / Algeria
A. Dr. Imad Ali Abdel Latif Ali
Qatar University/ College of Arts and Sciences
A. Dr. Muhammad Reda Sotouda Nia
Isfahan University/Iran